تفسير إبن كثير

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

(فإن توليتم) أي : كذبتم وأدبرتم عن الطاعة ، (فما سألتكم من أجر) أي : لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئا ، (إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي : وأنا ممتثل ما أمرت به من الإسلام الله عز وجل ، والإسلام هو دين [جميع] الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم ، كما قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) [المائدة : 48] . قال ابن عباس : سبيلا وسنة . فهذا نوح يقول : (وأمرت أن أكون من المسلمين) [النمل : 91] ، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل : (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [البقرة : 131 ، 132] ، وقال يوسف : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) [يوسف : 101

] . وقال موسى (ياقوم إن كنتم آمنتم باالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) [يونس : 84] . وقالت السحرة : (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) [الأعراف : 126] . وقالت بلقيس : (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان الله رب العالمين) [النمل : 44] . وقال [االله] تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) [المائدة : 44] ، وقال تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) [المائدة : 111] وقال خاتم الرسل وسيد البشر : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام : 162 ، 163] أي : من هذه الأمة ؛ ولهذا قال في الحديث الثابت عنه : " نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد " أي : وهو عبادة االله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت شرائعنا ، وذلك معنى قوله : " أولاد علات " ، وهم : الإخوة من أمهات شتى والأب واحد .